

المثل السائر

(كَالْجُسَامِ الْجَرَازِ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ... وَيُفْنَى فِي كُلِّ حِينٍ
قِرَابَةً) .

وكذلك ورد قول ابن الرومي .

(أَدْرِكْ ثِقَاتَكَ إِنْهُمْ وَقَعُوا ... فِي زَرْجِسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعَنْدَبِ)

.

(فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بِصُرْتَ بِهَِا ... سَيَّحَتْ مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ عَجَبٍ) .

(رَيْحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرَرٍ ... وَشَرَابُهُمْ دُرَرٌ عَلَى ذَهَبٍ) .

وهذا تشبيه صنيع إلا أن تشبيه البحري أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن صورة مشاهدة
وذاك إنما استنبطه استنباطا من خاطره وإذا شئت أن تفرق بين صناعة التشبيه فانظر إلى ما
أشرت إليه ههنا فإن كان أحد التشبيهين عن صورة مشاهدة والآخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم
أن الذي هو عن صورة غير مشاهدة أصنع ولعمري إن التشبيهين كليهما لا بد فيهما من صورة
تحكي لكن أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والآخر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومي نظر إلى
النرجس وإلى الخمر فشبه وأما البحري فإنه مدح قوما بأن خلق السماح باق فيهم ينتقل عن
الأول إلى الآخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأداه فكره إلى السيف وقربه التي تفنى في كل حين
وهو باق لا يفنى بفنائها ومن أجل ذلك كان البحري أصنع في تشبيهه .

وسأورد ههنا من كلامي نبذة يسيرة فمن ذلك ما كتبت من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة

أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا في سنة خمس وثمانين وخمسائة فقلت وأحاط بها

العدو إحاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها نزول